Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخاطفة وقطع الطريق ، بل لعل امرأ القيس كان يعتمد عليهم وعلى قوتهم وأسلوبهم فى صراعه مع أعدائه ، وبالتالى فلا سبيل له إلا أن يسلك مسلكهم ، ومن هذا التصور نجد أن حديث امرىء القيس عن مزاولته الصعلكة من مثل قوله :

وقربة أقوام جعلت عصامها على كاهل منى ذلول مرحَّل

وكذلك الأبيات الثلاثة التالية له ، أمر واقعى . وأن هذا ليس إلا صورة من صور ذكريات حياته التى يسترجعها بكل أطوارها وتقلباتها .

وأما حديث امرىء القيس عما تبقى له من قوة مع هذا البصيص من الأمل فى استعادة شىء مما ضاع ، فقد تمثل فى وصفه لفرسه الذى استغرق أحد عشر بيتا كانت من أجود ما فى القصيدة ، لأن هذا الفرس حينئذ كان رمزا لخير ما فى حياته كلها ، ففى صباه وشبابه هو رمز الفتوة والزهو والخيلاء ، وفى صراعه هو رمز القوة والأمل ، وفى أسوأ حالاته وأطواره هو رمز لذكرياته ولحياته كلها ، فما من مرحلة من مراحل حياته إلا وكان فرسه من أبرز مظاهرها ووسائلها ، ولذلك لم يكن غريبا أن يصب فى وصفه أجود ما تجود به شاعريته .

٣ـ وأما الطور الثالث من أطوار حياة امرىء القيس ، وهو طور الدمار وفقدان كل شىء فقد عبر عنه العنصر الأخير الذى شغل اثنى عشر بيتا .

وإذا نظرنا إلى تتابع المعانى وتجانس العناصر من الناحية الظاهرية فى القصيدة نجد تباعدا كبيرا بين هذا العنصر وماسبقه ، لأنه انتقل فجأة من وصف فرسه فى العنصر السابق إلى وصف البرق والسحاب المتدافع المتراكم فى السماء ، ولعل مثل هذا التباعد فى المعانى والعناصر هو ما دفع كثيرا من المستشرقين ومن تابع نزعتهم من النقاد المحدثين إلى اتهام القصائد القديمة بالتفكك والتعدد فى عناصرها وموضوعاتها ، ولكننا حين نعرض هذا العنصر فى ضوء نفسية الشاعر واسترجاعه ذكريات حياته التى انتهت بضياع كل شىء لديه . نجد هذا العنصر فى هيكله الرمزى صورة كاملة التطابق لنفسيته وواقع حياته حينئذ ، لأنه بدأ هذا العنصر بوصف سحاب متدافع متراكم يلمع خلاله برق ، حيث يقول :